مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 15، العدد 57 (شتاء 2004)، ص 46

مارك بودِن*

فن التعذيب الأسود:
المحقق الإسرائيلي كوبي**

[.....]

إذا كان ثمة من نموذج أمثل للمحقق الحديث، فهو ميخائيل كوبي. إنه كبير المحققين السابق في جهاز الأمن العام الإسرائيلي، الشاباك، ولعله يمتلك أوسع تجربة في العالم في التحقيق مع السجناء العرب المعادين، وبعضهم إرهابيون معروفون ومتدينون متعصبون، رجال، على حد قوله، "لا سبيل إلى العبور فوق حقدهم على اليهود." له عينان زرقاوان في وجه ملتو: وقد أمضى الزمن، أمهر رسامي الكاريكاتور، أكثر من ستين عاماً من العمل فيه، إلى أن أنتج وجهاً مسمرّاً، عميق الخطوط، مقعراً بصورة طبيعية. أنفه الكبير كسر مرتين، وهو ينتهي اليوم إلى يمين مكانه الأصلي، مضفياً عليه منظراً منحرفاً عن المركز بالمعنى الحرفي للكلمة. كما أن حكمته منحرفة قليلاً عن المركز، لأن كوبي أُعطي نظرة ملتوية إلى الطبيعة البشرية. فقد أمضى عقوداً من الزمن يجري التجارب على الكائنات البشرية المسجونة، يتملقها، ويخادعها، ويؤذيها، ويهددها، ويتجسس عليها، ويزيد في الضغط عليها باطراد، متحرياً الشقوق عند الدرزات.

قابلت كوبي في منزله على شاطئ عسقلان، على مسافة قريبة بالسيارة شمالي الحدود مع قطاع غزة، حيث عمل في سجونها طوال القسم الأكبر من حياته العملية. وهو يتمتع برفاهية التقاعد من منصبه في الشاباك الآن، وقد أصبح جَداً ثالث مرة، ويعمل في دائرة التفتيش وتعزيز الصحة العامة في البلدية. ثمة كثير من الأشياء التي لا يزال يفتقر إلى حرية التكلم في شأنها، لكنه يستمتع بالتكلم على أساليبه. وهو فخور بمهاراته، ومنها القدرة على تكلم العربية بقدر من الطلاقة يمكنه من اعتماد عدد كثير من اللهجات المحلية. وكان كوبي جاء إلى مهنته عبر حبه للغة. فقد نشأ على تكلم العبرية، واليديشية، والعربية، ودرس العربية في الثانوية، عاملاً على إتقان لهجاتها وعباراتها المألوفة. يتمتع بمهارة خاصة في قراءة اللغة الجسدية وتعابير الوجه عند سجنائه، وفي تحسس الكذب. وهو ممثل بارع يستطيع أن يصادق السجين أو يخيفه، على التناوب، وذلك عبر تقليب قطعة نقود معدنية أحياناً. وإذ يمزج كوبي هذه المهارات بالحيل التي تعلمها على مر الزمن للتلاعب بالناس، فهو لا يكتفي بالتحقيق

---

* مراسل مجلة *The Atlantic Monthly*، ومؤلف لستة كتب.

** المصدر: *The Atlantic Monthly* (October 2003), pp. 62-76.
والمادة المدرجة هنا مقتطفة من مقال أوسع يتناول موضوع التعذيب في أماكن متعددة من العالم.

مع سجنائه، بل يقوم أيضاً بتنسيق استسلامهم العاطفي.

يُعتبر كوبي والوحدة التي كان يرئسها، في نظر كثيرين، ومنهم كثر داخل إسرائيل، عاراً. فالألاعيب التي كانوا يقومون بها، والتكتيكات التي كانوا يستخدمونها تعتبر لاإنسانية، ولا شرعية، وشريرة تماماً. من الصعب أن يتخيل المرء هذا الجَد اللطيف رئيساً لوحدة يتهمها النقاد بأنها وحشية؛ لكن الجاذبية كانت، ولا تزال، مهمة للتحقيق بقدر الفظاظة أو الوحشية – وربما كانت أهم. ويقول كوبي أنه لم يستخدم القوة لابتزاز المعلومات من سجنائه إلاّ نادراً، إذ كانت غير ضرورية في معظم الحالات.

"الناس يتغيرون حين يدخلون السجن"، بحسب قول كوبي، "قد يكونون أبطالاً في الخارج، لكنهم يتغيرون داخل السجن. الأوضاع مختلفة. والناس يخافون من المجهول. فهم يخافون من التعذيب، ومن السجن مدة طويلة. حاول أن تتخيل كيف يكون حالك إذا جلست وعلى رأسك غطاء مدة أربع ساعات، وأنت جائع، ومتعب، وخائف، ومعزول عن كل شيء، ولا فكرة لديك عما يجري." عندما يعتقد السجين أن **أي شيء** قد يحدث – التعذيب، الإعدام، السجن المؤبد، حتى اضطهاد أحبائه – يستطيع المحقق أن يمضي في عمله.

ويذهب كوبي إلى أن كل واحد تقريباً تحت الضغط يتطلع، أولاً وقبل كل شيء، إلى الرقم 1. والأكثر من هذا أن عدداً كثيراً من مكونات هوية رجل ما، يعتمد على أوضاعه. ومهما يكن قبل الاعتقال، يصبح شعوره بذاته ضبابياً في أثناء الاحتجاز. فالعزلة والخوف والحرمان تجبر المرء على التراجع، وعلى تغيير وجهته وإعادة ترتيب أولوياته. وتتراتب الأولويات تحت الضغط على النحو التالي عند معظم الناس: 1) الذات؛ 2) الجماعة؛ 3) العائلة؛ 4)الأصدقاء. بعبارة أُخرى: حتى أكثر الإرهابيين التزاماً (ما خلا بعض الاستثناءات النادرة) يتصرف، حين يشتد الضغط عليه اشتداداً كافياً، بما يحفظ ويحمي نفسه على حساب أي شخص، أو أي شيء آخر. يقول كوبي: "هناك قول عربي قديم فحواه أن 'دع عيون مئة أُم تدمع، ما خلا أمي، لكن خير أن تدمع عين أمي لا عيني أنا'."

وتتحول الأولويات تحولاً طفيفاً مع الرجال الأكبر سناً. ففي أواسط العمر غالباً ما تتقدم العائلة على الجماعة (القضية) لتحتل موقع الولاء الثاني في الأهمية. الرجال الشباب يميلون إجمالاً إلى أن يكونوا شديدي الالتزام وطموحين، أمّا الرجال الأكبر سناً – حتى الرجال ذوو القناعات الراسخة، والرجال الذين يعجب بهم أتباعهم ويقتدون بهم – فيميلون إلى أن يقدموا أحبابهم وواجباتهم العائلية على ما سوى ذلك. فالعمر يحث المثالية، ويخفف الحمية، ويبرِّد العنفوان. وتتراجع المجردات أمام الزوجة، والأولاد، والأحفاد. "لاحظ أن قادة حماس لا يرسلون أبناءهم وبناتهم، ولا أحفادهم، ليفجروا أنفسهم"، على حد قول كوبي.

لذلك كان رجال الصف الأول، كالشيخ محمد، هم الأسهل عرضة للانهيار. ويعتقد كوبي أن إلقاء القبض على زوجة زعيم القاعدة وأولاده واحتجازهم يمنح المحققين معه قوة طاغية. فالأساس في التحقيق هو التوصل إلى موطن ضعف السجين واستغلاله.

ويرى كوبي أن العناصر المكونة الثلاثة الأساسية لهذه العملية هي: الإعداد، والتحقيق، والمسرح.

إعداد السجين للتحقيق يعني تليين عريكته. ففي الحالات المثالية، يكون انتُزع من رقاده – كالشيخ محمد – في الصباح الباكر، وعومل بخشونة، وقُيّد، وغُطي رأسه بغماء (من ذلك أن استخدام كيس خشن، وسخ، كريه الرائحة يفي بالغرض تماماً)، ويوضع في حال انتظار غير مريحة، كأن يكون عارياً في غرفة باردة، رطبة، مكرهاً على الوقوف أو الجلوس في وضع غير مريح. ومن الممكن أن يُترك مستيقظاً عدة أيام قبل التحقيق، معزولاً، سيئ التغذية. ومن ذلك أيضاً جعله غير عارف أين هو، وفي أي وقت من اليوم هو، وما طول المدة التي مضت على احتجازه ولأي مدة سيحتجز. وإذا كان جريحاً، كما كان أبو زبيدة، من الممكن حجب المسكنات عنه؛ فالتسبب بالألم شيء، ورفض تسكينه شيء آخر.

موسى خوري، وهو رجل أعمال فلسطيني، يعرف الأسلوب حق المعرفة. إنه رجل نحيل في الرابعة والثلاثين من عمره، ذو لحية سوداء مشذبة وشعر خفيف، يشعر بالمرارة حيال الاحتلال الإسرائيلي وتجاربه في الاعتقال. وقد تم اعتقاله والتحقيق معه ست مرات من جانب القوات الإسرائيلية. واحتجز مرة مدة واحد وسبعين يوماً.

"قُيّدت يداي خلف ظهري، وغُطي رأسي بكيس بطاطا"، فيما روى موسى، "وقيدت ساقاي إلى كرسي صغير جداً. عرض قاعدة الكرسي عشرة سنتمترات، وطولها عشرون سنتمتراً. أمّا ظهر الكرسي فعشرة سنتمترات بعشرة. وهو مصنوع من الخشب الصلب. قائمتاه الأماميتان أقصر من القائمتين الخلفيتين، ولذا فإنك مرغم على الانزلاق فيه إلى الأمام، مع بقاء يديك مقيدتين إلى ظهره. أمّا إذا جلست منتصباً فإن ظهر الكرسي ينغرز في إليتك، وإذا انزلقت إلى الأمام تكون مكرهاً على البقاء معلقاً بيديك. هذا مؤلم. وهم لا يأخذونك إلى بيت الخلاء إلاّ بعد أن تكون صحت مطالباً بذلك مئة مرة." وكان يفكر في شيء واحد: كيف يمكن إيقاف هذه المعاملة؟ "أفكارك تروح وتجيء ذهاباً وإياباً، ولا تستطيع أن تحتفظ بمجرى سوي لأفكارك."

إعداد المحقق يعني تسليحه مسبقاً بكل قصاصة معلومات عن سجينه. وتقترح كتب التحقيق، التي وضعها الجيش الأميركي، إعداد "ملف وهمي" سميك في حال ندرة المعلومات عن السجين، وذلك لجعل المحقق يبدو عارفاً بأكثر مما يعرف. فلا شيء يهز الأسير أكثر من مواجهته بوقائع كان يظنها مجهولة أو سرية. وهذا يجعل المحقق يبدو

قوياً ومحيطاً بكثير من المعلومات. عندها ينجرح شعور الرجل بأهميته، ويتوانى عن الكذب لأنه يعتقد أنه ربما تعرض لانكشاف كذبه. هناك كثير من الطرق لاستخدام قصاصات المعلومات – التي جمعت بواسطة التحريات الميدانية التقليدية، أو بالتحقيق مع شركاء السجين – من جانب المحقق الماهر بما يمكنه من النفاذ إلى شيء جديد. وهذه القصاصات قد تكون بسيطة، كمعرفة أسماء أقارب الرجل أو أسماء شركائه الأساسيين، واسم خليلته، أو كلمة أو عبارة ذات دلالة خاصة لجماعته. فالكشف عن تفصيلات مميزة يخفف سرية جماعة سرية، سواء أكانت نادياً، أم خلية إرهابية، أم وحدة عسكرية. فالالتحاق بجماعة كهذه يجعل الفرد يشعر بأنه مميز وذو شأن ومتفوق، ويسبغ مزيداً من المعنى على أكثر أنشطته إغراقاً في العادية. والمحقق الذي يفلح في النفاذ إلى هذه الجماعة السرية، ويطّلع على لغتها المشتركة، وثقافتها، وتاريخها، وأعرافها، وخططها، ونظامها التفصيلي، يستطيع أن يضعف سطوتها حتى على أرسخ المؤمنين بها. فالارتياب من أن يكون أحد الرفاق الثقات قد خان الجماعة – أو خان الأسير نفسه – ينسف الشعور بالشراكة في الغاية السرية والمصير. ففي استطاعة المحقق الماهر، المسلح ببعض التفصيلات الجوهرية، أن يجعل الأسير يشك في قيمة المعلومات التي صمم على كتمانها. فالتألم من أجل الحفاظ على سر من الأسرار شيء، والحرص على التمسك بسر قد فشا شيء آخر. هكذا يتوصل المحقق المطلع إلى اختراق دفاعات جماعة ما.

يعتقد كوبي أن أهم مهارة يتقنها المحقق هي معرفة لغة السجين. إذ إن العمل من خلال مترجمين شر لا بد منه في أحسن الأحوال. فاللغة هي في أساس كل الصلات الاجتماعية، وهي تقوم بدور جوهري في الجماعات السرية، كحركتيْ "حماس" و"القاعدة". والاشتراك في مصطلح موحد، أو في مختصرات لغوية، يساعد على تماسك الجماعة.

يقول كوبي: "أحاول أن أوهم السجين بأنني أستخدم لغته الأم خيراً منه، فلا تختلف لهجتي عن لهجته، ولا أرتكب أخطاء في التركيب النحوي. أخاطبه مثلما يخاطبه أفضل أصدقائه. فقد أسأله سؤالاً عن كيفية استخدام كلمة أو عبارة في ثقافته، ثم أبرهن له أنني أعرف عنها أكثر مما يعرف هو، وهذا يحرجه كثيراً."

عندما يبدأ السجين الكلام، يجب القيام بالتحقق السريع من كلامه لفرز الوقائع عن الاختلاقات، بحيث يعرف المحقق هل يميل السجين إلى التعاون أم إلى التهرب، ويتمكن من التجاوب معه على النحو المناسب. وينبغي لجلسات التحقيق أن تخضع للمراقبة الوثيقة (كثير من الغرف المصممة لذلك يحتوي على مرايا شفافة)، وفي وحدات التحقيق الجيدة الإدارة يمكن أحياناً التحقق من كلام السجين قبل انتهاء جلسة التحقيق. فانكشاف أكاذيبه بهذه السرعة يبرهن له عدم جدوى التلاعب مع

المحقق، ويعزز قبضة هذا الأخير، ويربك السجين ويشعره بالعار. وعندما يتم التحقق من المعلومات، يستطيع المحقق أن يركز على مزيد من المعلومات، ويفتح سبلاً جديدة للاستكشاف.

المتطرفون الدينيون هم أصعب الحالات. فهم ينغلقون في مجالهم الشخصي الخاص، ويقومون بنوع من التنويم المغناطيسي لأنفسهم. إنهم في العادة مثقفون جيداً، وأوضاعهم المالية والعاطفية منظمة. وهم يميلون إلى تعوّد شظف العيش، وينظرون بازدراء إلى غير المؤمنين. هم في العادة أقوياء بدنياً وذهنياً، ولا يتأثرون بالأشياء المادية – لا بالحوافز الإيجابية ولا بالحوافز السلبية المتاحة في السجن. وفي أكثر الأحيان تتقدم عدالة قضيتهم على كل الاعتبارات الأُخرى، بحيث يمكنهم أن يرتكبوا أي شيء، كالكذب والغش والسرقة والخيانة والقتل من دون ندم. ومع ذلك ففي ظل القسوة الكافية، على حد قول كوبي، ينهار معظم الرجال، وإن كانوا من هذا الصنف – معظمهم لا كلهم. فبعضهم لا يمكن حمله على الانهيار.

"إنهم قلة قليلة"، بحسب ما يقول، "لكن في بعض الحالات كلما ازددتَ عدوانية ازداد هؤلاء الرجال انسحاباً إلى عالمهم الخاص، حتى لا يعود في استطاعتك أن تصل إليهم."

يزعم موسى خوري، رجل الأعمال الفلسطيني الذي تم التحقيق معه ست مرات، أنه لم يبح بشيء قط إلى سجانيه. ليس لدى كوبي أية معرفة عن حالة موسى خوري، لكنه يبتسم ابتسامته الماكرة العليمة بالأمور ويقول: "إذا قال لك رجل أنه كان معتقلاً لدى قواتنا ولم يتعاون قط، ففي إمكانك المراهنة على أنه يكذب. إذ إنه في بعض الحالات تعاون معنا رجال مشهورون جداً بصلابتهم أعظم التعاون عندما كانوا في قيد الاعتقال."

والتحقيق يتسم بسمة مسرحية طاغية. ويفصّل "دليل كوبارك" *(Kubark Manual)* إعداد المسرح تفصيلاً خاصاً:

يجب أن تكون غرفة التحقيق خالية من كل عوامل الإلهاء. فألوان الحيطان، والسقف، والبسط، والأثاث، يجب ألاّ تكون مجفِّلة. كما يجب ألاّ يكون هناك صور، أو أن تكون مفتقرة إلى البريق في حال وجودها. أمّا هل يجب أن يشتمل الأثاث على مكتب أم لا، فأمر لا يتوقف على راحة المحقق وإنما على ما يُتوقَّع من ردة فعل الشخص حيال تداعيات التفوق والشكليات. وربما من الأفضل أن يكون هناك طاولة بسيطة. ويفضل أحياناً استخدام مقعد محشو حشواً مفرطاً لجلوس الشخص الذي يتم التحقيق معه بدلاً من مقعد خشبي مستقيم الظهر، لأنه إذا ما أكره على الوقوف مدة طويلة، أو إذا ما حرم، بأية صورة من الصور، الراحة الجسدية، فإن التفاوت يتكثف ويسبب مزيداً من الارتباك.

ويتابع "الدليل" موصياً باستعمال الإضاءة التي تسطع في وجه السجين، وتبقي المحقق في الظل. يجب ألاّ يكون هناك هاتف، أو أية طريقة أُخرى للاتصال بمن هم خارج الغرفة، وذلك لتعزيز التركيز وشعور السجين بالعزلة. وفي خبرة كوبي، كان يتم أحياناً الاستعانة بمساعدين يمثلون بصوت مرتفع جلسة تعذيب أو ضرب في الغرفة المجاورة. وفي تدريبات التحقيق في وكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، على حد قول بيل واغنر، وهو عميل متقاعد، كان يوصى بتنفيذ عمليات إعدام مزيفة خارج غرفة التحقيق.

والمحقق الجيد رجل مخادع. ومن حيل كوبي: المشي في رواق حُشر فيه عشرون معتقلاً جداً، مغممي الرؤوس وغير مرتاحين وجياعاً وخائفين، ممن سيتم التحقيق معهم، ويصيح بصوت آمر: "حسناً، من يريد أن يتعاون معي؟" وحتى لو لم ترتفع أي يد أو ارتفعت يد واحدة، يخاطب هؤلاء الرجال مغممي الرؤوس قائلاً: "حسناً، ثمانية منكم. سأبدأ بك، وسيكون على الباقين الانتظار." ذلك بأن الاعتقاد أن الآخرين استسلموا يسهّل على المرء أن يستسلم أيضاً. وغالباً ما كان كثيرون من هؤلاء الرجال المحشورين في الرواق يتعاونون بعد هذه الخدعة. البشر حيوانات قطعانية، وهم يفضلون السير مع التيار، ولا سيما عندما يكون التحرك في الاتجاه المعاكس قاسياً.

في إحدى الحالات تلقى كوبي معلومات توحي بأن رجلين ممن كان يحقق معهم هما عضوان سرّيان في خلية إرهابية، ومطلعان على هجوم وشيك. كانا رجلين صلبين، مزارعين ريفيين، يصعب تخويفهما أو الضغط عليهما، ولم يكن أي منهما حتى الآن قد أقر بشيء جرّاء التحقيق. وكان كوبي اشتغل بهما كلاً على حدة طوال ساعات. وكان مع كل منهما يبدأ بطرح أسئلة ودودة، ثم يتزايد غضبه متهماً السجين بإخفاء شيء ما. كان يصفعه، ويدفعه أرضاً عن مقعده، ويُجلس الحراس عليه، ثم يتدخل ليبعدهم عنه. ثم يُجلس السجين ثانية على مقعد ويقدم له سيجارة، ملطفاً الأجواء. "دعه يرى الفارق بين المناخين، المعادي والودود"، على حد قول كوبي. ولم يتزحزح أي من الرجلين.

أخيراً نصب كوبي حبائله. أخبر أحد الرجلين بأن التحقيق معه انتهى. أمّا شريك الرجل، فكان لا يزال مغمم الرأس وجالساً في الرواق خارج الغرفة. قال كوبي: "سنفرج عنك. وقد سررنا بتعاونك. لكن عليك أولاً أن تسدي إليّ خدمة. سأطرح عليك سلسلة من الأسئلة، مجرد شكليات، وأريد منك أن تجيبني بـ ‹نعم› بصوت مرتفع وواضح من أجل آلة التسجيل." ثم وبصوت عال إلى درجة تمكن الرجل المغمم الرأس، الجالس في الرواق، من أن يسمعه، لكن بصوت ناعم إلى درجة لا يستطيع معها أن يفقه تماماً ما يقال، قرأ كوبي قائمة طويلة من الأسئلة، تتناول اسم السجين، وسنه، ووضعه العائلي، وتاريخ اعتقاله، وطول مدة الاعتقال، وما إلى ذلك. ويَفْصل بين سؤال وآخر، بانتظام،

"نعم" واضحة ومتعاونة من جانب السجين. وكانت الخدعة كافية لإقناع الرجل الآخر بأن صديقه استسلم.

صرف كوبي الرجل الأول واستدعى الثاني قائلاً: "ما عدت بحاجة إلى التحقيق معك، فقد اعترف صديقك بكل شيء." وقدم له سيجارة ووجبة طعام جيدة، وأخبره بأن المعلومات التي قدمها صاحبه تكفل بقاءه هو وصاحبه في السجن مدى الحياة، إلاّ إذا وافق السجين الثاني على أن يقدم له شيئاً، أي شيء يمكن أن يحمل المحكمة على منحه أسباباً تخفيفية. وإذ كان مقتنعاً بأن رفيقه خانه، تصرف السجين الثاني بسرعة لإنقاذ نفسه. فقال: "إذا كنت تريد إنقاذ حياة الإسرائيليين إذهب حالاً، فقد توجه رفاقي في سيارة إلى يشيفا نحاليم [وهي مدرسة دينية]. وهم ينوون اختطاف مجموعة من الطلاب..." وقد عُثر على الرجال في إيرز، وأُحبطت العملية.

ثمة طرق أُخرى لإبقاء السجين في حال الارتباك واختلال التوازن، منها طرح الأسئلة بسرعة، بحيث تقاطع أجوبته في منتصف الجملة، وتطرح الأسئلة نفسها مراراً وتكراراً بترتيب مختلف، مع استعمال ما يسميه "دليل كوبارك" تقنية "الصمت"، التي يمتنع المحقق خلالها من "قول أي شيء للسجين، وإنما يكتفي بالتحديق في عينيه، ويفضَّل أن يفعل ذلك مع ابتسامة خفيفة." وينصح "الدليل" إجبار السجين على تحويل نظره أولاً؛ "وهذا أمر يوقع السجين في الاضطراب، ويبدأ بتغيير جلسته في المقعد، ويلف ساقاً على ساق ثم يغير وضعهما، ويشيح بنظره بعيداً عن المحقق. وعندما يصبح المحقق على استعداد لقطع الصمت، يجوز له أن يقوم بذلك طارحاً أسئلة توحي برباطة جأش، من نوع: 'لقد خططت لهذه العملية منذ زمن بعيد، أليس كذلك؟ هل كانت العملية من بنات أفكارك؟'"

ثم تأتي "أليس في بلاد العجائب."

> الهدف من "أليس في بلاد العجائب"، أو تقنية الإرباك، هو إرباك توقعات الشخص الخاضع للتحقيق وردات فعله المكتسبة... وتقنية الإرباك مصممة لا لطمس ما هو مألوف فحسب، بل أيضاً للاستعاضة عنه بما هو مستهجن... من ذلك طرح سؤالين أو أكثر في الوقت نفسه. وفي هذه الحالة لا تتلاءم لهجة المحقق، ولا طبقة صوته، ولا علو درجته، مع أهمية الأسئلة. ولا يسمح بتصور أي نمط من الأسئلة والأجوبة، ولا تكون الأسئلة نفسها مترابطة منطقياً بعضها ببعض.

ويذهب "الدليل" إلى أن هذه التقنية إذا ما اتبعت بأناة، فإن السجين سيبدأ الكلام، "لا لشيء إلاّ لإيقاف سيل الثرثرة الذي يحاصره."

وأشهر الأساليب أسلوب "الشرطي الطيب/الشرطي الشرير"، الذي يصبح فيه أحد

المحققين مضطهِداً للسجين والآخر صديقه. والأقل شهرة من هذا الأسلوب هو تقنية "عزة النفس والأنا"، أو "أنا فوق/أنا تحت"، التي لا تقل فعالية، أو (كما يسميها "دليل كوبارك" الأكثر ادعاء) تقنية "سبينوزا ومورتيمر سنيرد"، التي ينطوي فيها "أنا تحت" على تكرار طرح أسئلة يعلم المحقق أن السجين لا يستطيع أن يجيب عنها. ويوبَّخ السجين، أو يهدد باستمرار ("كيف يمكنك أن تجهل الإجابة عن هذا السؤال؟") ويتهم بالتكتم، إلى أن يطرح عليه في نهاية المطاف سؤال سهل يستطيع الإجابة عنه. ويقول أسير حرب أميركي أخضع لهذه التقنية: "أعرف أن هذا يبدو مستغرباً الآن، لكنني كنت ممتناً حقاً لهم عندما انتقلوا إلى موضوع أعرف عنه شيئاً."

وقد حاول علماء النفس العاملون مع وكالة الاستخبارات المركزية وضع نظرية تتعلق بالتحقيق – وهي أن الطرق الإكراهية تسبب عملية "انتكاص" متدرج للشخصية. لكن هذه النظرية ليست مقنعة. فالتحقيق إنما يحشر الإنسان في الزاوية؛ يُكرِه السجين على القيام بخيارات صعبة، ويلوّح له بطرق وهمية للفرار.

المحقق الحاذق يعرف أية مقاربة توافق سجينه؛ وكما يستعمل الضغط بحذق فهو يفتح باستمرار طرق الفرار أو الإطلاق هذه. وهذا يعني أن يتفهم تماماً السبب الجوهري الذي يمنع السجين من التعاون. فإن كانت الأنا، فهذا يستلزم أسلوباً. وإن كان الخوف من الانتقام أو من التورط في مزيد من المشكلات، فإن أسلوباً آخر قد يكون أفضل. ومن أهم الحوافز التي تدعو معظم الأسرى إلى التكتم عزة النفس، بكل بساطة. فهم يُمتحنون في رجولتهم، لا في انتمائهم أو قناعاتهم فحسب. والسماح للسجين بأن ينقذ ماء وجهه يخفض تكلفة الانهيار. ولذا كان الحري بالمحقق الحاذق أن يقدم تسويغات معقولة للانهيار: منها أن الآخرين استسلموا، أو أن المعلومة باتت معروفة. والعقاقير إذا ما أعطيت للسجين بعلمه مسعفة في هذا المجال. فإذا تيقن السجين أن عقاراً معيناً، أو "حقنة الحقيقة" تجرده من المقاومة تخلى عن التكتم. لا يمكن لأحد أن يحاسبه على الانهيار. وقد توصلت دراسة مدرجة في كتاب جورج أندروز *MKULTRA* إلى أن البلاسيبو – وهو مجرد حبة لا تحتوي شيئاً غير السكر – كان فعالاً كفعالية عقار حقيقي بنسبة تصل إلى 50 من الحالات.

كان كوبي يرصف خدائعه بعضها فوق بعض حتى تصل إلى سماكة لا يعرف معها سجناؤه متى ينتهي التحقيق معهم. بعد التحقيق كان السجناء يمضون عادة بعض الوقت في سجن نظامي. وكان الإسرائيليون ركّبوا في السجن أجهزة تنصت مموهة إلى حد **تبدو** معه خفية، لكن غير مموهة إلى ذلك الحد الذي يصعب معه اكتشافها. وبهذه الطريقة كان السجناء يُحْمَلون على الاعتقاد أن في بعض أنحاء السجن أجهزة تنصت. بينما الواقع أن هذه الأجهزة كانت مزروعة في أرجاء السجن كافة. كان من الممكن التجسس على الأحاديث التي تدور بين السجناء في أي مكان من

السجن، وكانت تخضع للمراقبة المكثفة بحيث باتت مصدراً نفيساً للمعلومات. فالسجناء الذين كانوا يتوصلون إلى الصمود في وجه أعتى التحقيقات، كثيراً ما كانوا يتخلون عن الحذر عند محادثة رفقائهم في السجن.

ومن أجل تعزيز هذه الاعترافات غير المقصودة كان كوبي يلعب ورقة أُخرى. فعندما يُرسَل السجين الذي تم التحقيق معه إلى السجن العام، بعد أسابيع من التحقيق المرهق، كان يُستقبَل في الأحضان من زملاء فلسطينيين، يصادقونه ويثنون على تحمله التحقيق. كان يعامل كبطل؛ يُطعَم، ويُدلَّل، ويُكرَّم. لكن ما كان يجهله هذا السجين هو أن هؤلاء الزملاء الجدد إنما كانوا يعملون لمصلحة كوبي.

كوبي يطلق عليهم اسم "العصافير". وهم فلسطينيون مُنحوا حافزاً، كفرصة الهجرة مع عائلاتهم إلى بلد آخر، فوافقوا على التعاون مع الشاباك. وبعد بضعة أيام أو أسابيع من الترحيب بالسجين الجديد في صفوفهم، ميسرين له الانتقال إلى السجن، يبدأون طرح الأسئلة. فيستفسرون منه عن جلسات التحقيق معه. ثم ربما قالوا له: "من المهم جداً أن يعرف الذين في الخارج ما قلته للإسرائيليين وما **لم** تقله. أخبرنا، وسنوصل المعلومات إلى الذين يحتاجون إليها في الخارج." حتى السجناء الذين تمكنوا من التكتم على أسرار مهمة حيال كوبي، كانوا يفشونها أمام عصافيره.

ويعلق كوبي على ذلك قائلاً: "الطريف في الأمر أن وجود هؤلاء العصافير بات معروفاً جداً، ومع ذلك ما زال هذا الجهاز يشتغل. فالأشخاص يخرجون من التحقيق ويذهبون إلى السجن النظامي ويبوحون بأعمق أسرارهم. لا أعرف لِمَ لا يزال هذا الجهاز يشتغل، لكنه يشتغل.

"بيغ دادي"،
الأب الكبير في المدينة

يعمل معظم المحققين من دون الحرية الممنوحة لوكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، أو لمكتب التحقيقات الفدرالي (FBI)، أو للعسكر في الحرب على الإرهاب. فالشرطي ملزم حيال الأشخاص الذين يحقق معهم بقراءة حقوقهم المدنية. والشُرَط الذين يهددون المشتبه فيهم، أو يعتدون عليهم – في هذه الأيام على الأقل – قد يجدون أنفسهم في السجن. جيري جيورجيو، المحقق الأسطوري في دائرة شرطة نيويورك، عمل ضمن هذه القواعد مدة تناهز الأربعين عاماً. وهو ربما كان لا يعرف أسماء جميع التقنيات التي تستعملها وكالة الاستخبارات المركزية والعسكر، لكن الأرجح أنه رأى معظمها في قيد الاستعمال. ويعمل جيورجيو، المعروف باسم "بيغ دادي في المدينة"، اليوم لمصلحة المدعي العام في مقاطعة نيويورك، داخل مكتب ضيق يشاركه فيه اثنان آخران في لوور مانهاتن. وهو رجل ضخم البنية، جهور

الصـوت، أشـيب الشـعر، كبير البطن، واسـع العينين الخضـراوين الباحثتين. وهو يعد سـاحراً في نظر زملائه السـابقين في دائرة شـرطة نيويورك. "نحن كلنا، المنتمين إلى جيل معين، تخرجنا من مدرسـة جيري جيورجيو في التحقيق"، على حد قول جون بورجس، مفتش شرطة مانهاتن المتقاعد حديثاً.

يقول جيورجيو: "الكل يعرف طريقة الشرطي الطيب/الشرطي الشرير، أليس كذلك؟ حسناً، أنا أقوم دائماً بدور الشرطي الطيب. كما أنني لا أعمل مع شرطي شرير. لا أحتاج إلى ذلك. أتريد أن تعرف الحقيقة؟ الحقيقة هي – وهذا مهم – أن كل واحد **يريد** في أعماقه أن يخبر قصـته. هذا حقيقي. مهما يكن ذلك مؤذياً لهم، ومهما يكن التكتم أفضل لهم، فإنهم يريدون أن يخرجوا القصة من صدورهم. إذا كانوا يشعرون بأن ما أقدموا على فعله مبرر فهم يريدون أن يبيّنوا ذلك. أنا أقول لهم: 'إسـمعوا، أنا أعرف ما فعلتم وأسـتطيع إثباته. فماذا تريدون أن تفعلوا في هذا الشـأن؟ إذا أظهرتم الندم، إذا ساعدتموني في ذلك فسأتدخل لمصلحتكم'. أقول لهم ذلك. فإذا أعطيتهم نصف سبب ليفعلوا ذلك، فإنهم سيخبرونك كل شيء."

أهم شيء هو جعلهم يتكلمون. أصعب المشتبه فيهم هم الذين يصمتون ويطلبون محامياً منذ البداية. ويعتقد جيورجيو أنه ما إن يجعل المشـتبه فيه يتكلم حتى يتدفق سـيل الكلمات لينتهي إلى الحقيقة. من ذلك أن قاتلاً أعطاه، طوعاً، في يوم واحد ثلاثة اعترافات؛ كل واحد منها موقع، وكل واحد منها مختلف عن الآخر، وكل واحد أقرب من الآخر قليلاً إلى الحقيقة.

أمّا القاتل فهو كارلوس مارتينيز، لاعب كرة القدم الضخم الذي قتل في أيار/مايو 1992 خليلته تشـيريل ماريا رايت، وألقى جثتها في نيويورك عند الكوليزيوم المطل على "هنري هدسون باركواي". ولمّا كانت كثيرات من الإناث الشابات، ضحايا جرائم القتل، يقتلن بيد أصـحابهن الذكور فقد انطلق جيورجيو من صـاحب رايت. اتصـل مارتينيز هاتفياً بجيورجيو عندما سمع أن المفتش يريد أن يطرح عليه بعض الأسئلة. كان لدى جيورجيو صـور لرايت بصـحبة مارتينيز، وفي جميع الصـور كان للشـاب الوسيم عقص ضخمة من الشعر الأجعد. لكنه حضر إلى مكتب جيورجيو حليق الرأس. وهذا ما أثار للحال المزيد من ارتياب المفتش؛ فالرجل الذي يقلق من أن يكون أحد شاهده يرتكب جريمة يحاول عادة أن يغير مظهره.

إليكم كيف يختصر جيورجيو ما تبين أنه محادثة مطولة ومثمرة:

قال مارتينيز: "كنت في منزلي الليلة الماضية، واتصلتْ بي."

"حقاً، لماذا؟"

"كانت تريدني أن أقِلها بسيارتي من مقر عملها. فقلت لها إني أشاهد مباراة فريق

الميتس، ولا أستطيع أن أمر لاصطحابك."

هذا كل ما في الأمر. تصرف جيورجيو تصرف المسرور تماماً بهذا الكلام، ودوّنه، وشكر مارتينيز، وطلب منه أن يوقّعه. فوقع مارتينيز.

ثم حدق جيورجيو في الورقة، ونظر إلى مارتينيز نظرة فضولية.

"أتعلم يا كارلوس، ثمة في هذه الإفادة ما يبدو لي غير صحيح. فأنتما صديقان منذ متى؟ سبعة أعوام؟ وها هي تتصل بك طالبة أن تقلها بسيارتك ليلاً عند انتهائها من عملها. والحي ليس من الأحياء الآمنة، ثم تقول لها لا؟ أتعني أن مباراة كرة متلفزة كانت أهم في نظرك؟"

كان السؤال ماكراً. فالمفتش كان يعرف أن مارتينيز يحاول خلق انطباع جيد؛ وهو لم يكن يريد أن يترك فكر جيورجيو يسرح في قضايا غير محسومة. لذا كان قلقاً من كون إفادته الأولى لم تبد مقنعة. كما أن سؤال جيورجيو مسّ أيضاً فروسية مارتينيز، وهي صفة مهمة جداً عند كثيرين من الرجال المتحدرين من أصل إسباني. فلا يليق به أن يبدو مفتقراً إلى كياسة الرجل المحترم. إذ ههنا امرأة شابة قُتلت لتوها بوحشية. فكيف سينظر أهلها وأصحابها إليه إذا ما أقر بأنها اتصلت به وطلبت منه أن يقلها بسيارته ولم يستجب، وإنما تركها تلقى مصيرها – من أجل مباراة كرة متلفزة؟ كما أن السؤال كان يقترح مخرجاً مشرفاً: الحي لم يكن آمناً. فالناس يتعرضون للإصابة أو القتل في هذا الحي باستمرار. وربما كان في وسع مارتينيز أن يعترف بأنه رأى تشيريل ليلة مقتلها من دون أن يورط نفسه مباشرة. لم يدّع أحد قط أن لاعب كرة القدم السابق ذكي بصورة استثنائية. فابتلع الطعم الذي وضعه جيورجيو فوراً.

قال: "جيري، دعني أقول لك ما حدث فعلاً" (لاحظ، كما يقول جيورجيو باعتزاز، "ها إني أصبحت **جيري** بسرعة!"). قال مارتينيز الآن أنه كان غادر منزله ليقل تشيريل من عملها، لكنهما تورطا في شجار، "فاغتاظت مني وقالت لي أنها لا تريد أن أقلها بسيارتي، لذا انتظرت حتى صعدتْ إلى الباص، ثم غادرتُ المكان." ("انظر كيف أصبح الآن نموذج الفروسية!" على حد ما يقول جيورجيو مرحاً).

"دعني أدوّن هذا"، أجاب جيورجيو، متظاهراً بأنه مسرور بهذا الكلام. فدوّن ذلك بوضوح، وطلب من مارتينيز أن يتصفحه ويوقّعه. فقام مارتينيز بذلك.

مرة أُخرى، نظر جيورجيو إلى الورقة بعين نصف مغمضة وقال: "أتعرف يا كارلوس، ثمة شيء هنا لا يزال غير مرض. تشيريل كانت فتاة أخاذة الجمال. والناس الذين يرونها يتذكرونها. وقد ركبت ذلك الباص إلى منزلها عدة ليال، والناس في الباص يعرفون من هي. أتعلم ماذا؟ لا أحد ممن ركب ذلك الباص رآها الليلة الماضية."

(كان هذا، بحسب عبارة جيورجيو، "هراء صافياً". لم يتحدث إلى أي شخص ممن

ركبوا ذلك الباص. "عليك أحياناً أن تغامر"، وفق ما قال).

مرة أُخرى بدا مارتينيز مضطرباً. فهو لم يبدد شكوك المفتش. لذلك حاول مرة ثانية. "حسناً، حسناً. إليك ما حدث حقاً. دعني أقول لك ما حدث فعلاً. اتصلت تشيريل، وغادرت منزلي لأقلها، لكنني التقيت صديقاً لي – لا أستطيع أن أطلعك على اسمه – واصطحبناها معاً. ثم نشب بيني وبينها هذا الشجار، شجار كبير. فسئم صديقي. سقت السيارة بعيداً، صعوداً من برودواي إلى الشارع 181، وتوقفنا أمام مكدونالد هناك. فسحب صديقي مسدساً وطلب مني مغادرة السيارة. قال لي 'إنتظر هنا. سأخلصك من مشكلتك'. ثم غادر. وانتظرت. بعد ذلك عاد أدراجه وقال أنه خلصني من مشكلتي."

هز جيورجيو رأسه مسروراً وراح يدون الإفادة الثالثة. ثم مثّل دور المنزعج من كون مارتينيز يرفض تسمية الصديق، لكن الشاب سرعان ما لفظ اسماً. فقام مساعد جيورجيو، الذي كان يراقب الجلسة من وراء مرآة شفافة، بالعمل فوراً على التحقق من هوية صديق مارتينيز. وإلى أن تم تدوين الإفادة الثالثة، وتوقيعها، ووضعها بترتيب فوق الإفادتين الأُخريين، كان بين يدي جيورجيو مشكلة جديدة يطرحها على مارتينيز: فقد تبين أن صديقه كان في كارولينا الجنوبية منذ فترة من الزمن.

ويقول جيورجيو: "لم نتوصل قط إلى إنهاء الإفادة الرابعة، لأن عائلة مارتينيز كانت وكلت محامياً، فاتصل بالمخفر ومنعنا من المضي في التحقيق مع موكله." لكن الأوان كان فات طبعاً.

الكابتن كرانتش
ضد محتضني الشجرة

صبيحة يوم ربيعي، وفي مكاتب منظمة العفو الدولية في واشنطن، كان أليستير هودجت وألكساندرا أرياغا يطلعاني على الجهود النبيلة التي تبذلها منظمتهما لمحاربة التعذيب حيثما وجد على وجه الأرض. إنهما شابان لامعان، ولطيفان، وذكيان، وملتزمان، وجذابان، ومفعمان بالأهداف الصالحة. الناس المحترمون في كل موضع يوافقون على هذا: التعذيب شر ولا يمكن تبريره.

لكن هل هو دائماً هكذا؟

أطلعتُ الاثنين على مقالة كنت انتزعتها من صحيفة "نيويورك تايمز" لذلك اليوم، وفيها سجال بشأن حادثة اختطاف مأساوية في فرانكفورت، في ألمانيا. ففي 27 أيلول/سبتمبر من السنة الماضية اختطف طالب حقوق فرانكفورتي صبياً في الحادية عشرة من عمره يدعى ياكوب فون متزلر، كان وجهه الباسم يظهر في صورة مرفقة بالمقالة. كان الخاطف غطى فم ياكوب وأنفه بشريط لاصق، ولف الصبي بالبلاستيك، وخبَّأه في منطقة حرجية بالقرب من بحيرة. ألقت الشرطة القبض على المشتبه فيه

عندما حاول استلام مال الفدية، لكنه رفض الكشف عن المكان الذي ترك فيه الصبي، الذي كانت الشرطة تعتقد أنه لا يزال في قيد الحياة. هنا بلّغ نائب رئيس شرطة فرانكفورت، ولفغانغ داشنر، مرؤوسيه أن يهددوا المشتبه فيه بالتعذيب. وقد صرح هذا الأخير أنه بُلّغ أن الشرطة استدعت بالطائرة "اختصاصياً" من شأنه "أن ينزل بي وجعاً لم أعهد له مثيلاً من قبل." عندئذ سارع المشتبه فيه إلى إبلاغ الشرطة عن المكان الذي خبَّأ فيه ياكوب الذي وجد لسوء الحظ ميتاً. وقالت الصحيفة إن داشنر كان يتعرض لحملة شعواء من منظمة العفو الدولية، من جملة منظمات أُخرى، لتهديده باللجوء إلى التعذيب.

سألتهما: "هل تعتقدان حقاً أن مجرد التهديد بالتعذيب كان خطأً في ظل هذه الظروف؟"

تململ هودجت وأرياغا في مقعديهما، وقالت أرياغا، مديرة العلاقات الحكومية في المنظمة: "نحن نقر بأن ثمة أوضاعاً صعبة، لكننا نعارض التعذيب في جميع الأحوال، والتهديد باللجوء إلى التعذيب إنما هو إنزال ألم ذهني. لذا فنحن نعارضه."

قليل من الأوامر الخلقية يبدو مقنعاً على نطاق واسع، لكنه ينهار بصورة درامية على نطاق فردي. ومن السبل الممكنة للفصل في هذه الحالة التمييز بين حساسيتين متضاربتين: حساسية المُحارِب، وحساسية المدني.

حساسية المدني تضع سيادة القانون فوق كل شيء. ومهما تكن الصعوبات التي تطرحها حالة معينة، كمحاولة العثور على ياكوب فون متزلر المسكين قبل أن يختنق، فإنها تظهر أن إساءة استعمال قوة الدولة تشكل خطراً أكبر على المجتمع. والسماح باستثناء كهذا في حالة واحدة (إنقاذ ياكوب) سيفتح الباب أمام شر أعظم.

أمّا حساسية المحارب فتستلزم القيام بما عليه أن يقوم به لإنجاز مهمة ما. وبالتحديد، فإن الحرب موجودة لأن الوسائل المدنية أخفقت. وما يهم في هذه الحالة هو الانتصار، والحفاظ على أرواح الجنود. ففي نظر قائد ميداني في منطقة قتال، تعتبر حياة أسير معاد أخف وزناً بكثير من حياة جنوده. فثمة القليل من القادة الذين إذا ما جوبهوا بأسير معاند لا يلجأون في بعض الظروف إلى "فم التمساح"، أو أية آلة أُخرى.

من ذلك ما يقوله بيل كوان، المحقق في حرب فيتنام: "الأمر لا يتعلق بالغيظ أو بالانتقام، بل إنه مجرد القيام بعمل محدد. تعذيب الناس لا يتلاءم تماماً مع معاييري الخلقية أبداً. لكنني لا أعتقد أن ثمة مساحة رمادية كبيرة هنا. إمّا أن يكون لدى الرجل معلومات تحتاج إليها وإمّا لا يكون؛ إمّا إنها حيوية وإمّا غير حيوية. هكذا تعرف أي رجل يجب أن تلوي ذراعه."

إن تصريحات الرئيس بوش الرسمية، ومثلها تصريحات وليم هاينس التي تعيد

تأكيد معارضة الحكومة الأميركية للتعذيب، استُقبلت بالترحيب من جانب جماعات حقوق الإنسان – لكن اللغة المستعملة في هذه التصريحات مختارة بعناية. فماذا تعني إدارة بوش بعبارة "تعذيب"؟ هل هي حقاً تشارك ناشطي حقوق الإنسان في تعريفهم الشامل للفظ؟ فهاينس، في رسالته إلى مدير منظمة حقوق الإنسان، استخدم عبارة "مقاتلي العدو" ليصف الأشخاص المعتقلين. ذلك بأن وصف المعتقلين بأنهم "أسرى حرب" من شأنه أن يؤهلهم لحماية اتفاقية جنيف، التي تحظر "تعذيب أسرى الحرب جسدياً أو ذهنياً فضلاً عن أي نوع من أنواع الإكراه"، حتى إنها تصل إلى حظر "المعاملة السيئة أو المزعجة مهما يكن نوعها" (وبحسب كلمات قالها رجل عسكري بازدراء: "إنهم يحظرون كل شيء باستثناء ثلاث وجبات كاملة، وسرير دافئ، وحق الوصول إلى التعليم في جامعة هارفرد"). المعتقلون من المواطنين الأميركيين يتمتعون بامتياز الحماية الدستورية ضد اعتقالهم من دون تهمة، والحق في استشارة محام. كما أن التعديل الثامن يحميهم من أسوأ الإهانات، إذ يحظر "العقوبة الوحشية وغير المألوفة." والمعتقل الوحيد في غوانتانامو، الذي اكتُشف أنه مولود في الولايات المتحدة، تم نقله إلى سجن آخر، وما زالت المعارك القانونية مستعرة في شأن وضعه القانوني. لكن إذا كان آلاف المعتقلين الباقين ليسوا أسرى حرب (وإن كانوا في سوادهم الأعظم أُسروا خلال القتال في أفغانستان) ولا مواطنين أميركيين، فهم فرائس مثالية. ولا حماية لهم إلاّ تعهدات الولايات المتحدة الدولية، التي لا يمكن فرض تنفيذها فعلياً.

وما هي هذه التعهدات؟ أكثرها جلالة هو ذلك المنصوص عليه في اتفاقية جنيف، لكن الولايات المتحدة التفت على هذه الاتفاقية في حالة أولئك الذين يؤسرون في الحرب على الإرهاب. أمّا ثاني هذه التعهدات، من حيث الأهمية، فهو ذلك المنصوص عليه في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي يؤكد في المادة الخامسة منه أن "لا يخضع أحد للتعذيب أو المعاملة أو العقوبة الوحشية، أو اللاإنسانية، أو المذلة." ثم هناك أيضاً الاتفاقية الخاصة بمناهضة التعذيب؛ فالاتفاقية التي أتى إلى ذكرها بوش في حزيران/يونيو يبدو أنها تستبعد أية من طرق التحقيق الأكثر عدوانية. فهي تنص في المادة الأولى منها على ما يلي: "من أجل أهداف هذه الاتفاقية، يعرف التعذيب على أنه أي فعل من شأنه إنزال وجع أو ألم شديد جسدياً أو عقلياً بصورة متعمدة بشخص ما." مرة أُخرى لاحظوا تعبير "شديد". فالولايات المتحدة تتحاشى وصمة "التعذيب" عن طريق التلاعب بالألفاظ.

إن تاريخ التحقيق من جانب القوات المسلحة الأميركية ووكالاتها التجسسية إنما هو تاريخ التظاهر بالتزام الاتفاقيات الدولية، في حين يتم استخدام الإكراه استخداماً قوياً عندما يبدو أن الأوضاع تبرر ذلك. لكن كلا الجيش ووكالة الاستخبارات المركزية

كان صريحاً في منشوراته المتعلقة باستخدام الوسائل القسرية. فـ "دليل كوبارك" لا يقدم في صفحاته الـ 128 إلاّ بضع لفتات لوخز الضمير فيما يتعلق بما يكنى عنه بعبارة "التقنيات الخارجية": "إذا وضعنا الاعتبارات الخلقية جانباً، فإن فرض التقنيات الخارجية للتلاعب بالناس يستجر المخاطرة بالتعرض للملاحقة القانونية، والدعاية المعاكسة، أو سواهما من محاولات الانتقام." واستخدام كلمة "الانتقام" هنا يكتسي دلالة خاصة؛ فهو يستتبع كون النقد الموجه إلى أساليب غير لائقة كهذه، سواء أكان قانونياً أم خلقياً أم صحافياً، مفتقراً إلى مبررات جوهرية وكونه سيعتبر بمثابة هجوم معاد مضاد.

بيل واغنر، عميل وكالة الاستخبارات المركزية السابق، يتذكر ذهابه إلى دورة التحقيق التي نظمتها الوكالة لمدة ثلاثة أسابيع في "المزرعة" في ويليامسبورغ بولاية فرجينيا سنة 1970. وبحسب ما روى واغنر كانت "المزرعة" تعتبر، إلى حين إغلاقها بعد بضعة أعوام، "الدورة العليا" في الوكالة، ولم يكن يدعى إليها إلاّ أفضل المتطوعين. "كان القول إنك مررت بهذه الدورة بمثابة ريشة حقيقية في قبعتك."

كان المتطوعون يقومون بدور الأسرى في مقابل ضمان مكان لهم في دورة التدريب المقبلة المرغوب فيها. كانوا يُحرَمون النوم، ويبلَّلون باستمرار بالماء في غرف باردة، ويُجبَرون على الجلوس أو الوقوف في أوضاع مزعجة لمدد طويلة، ويحجب عنهم نور الشمس، وتمنع الاتصالات الاجتماعية، ويقدم لهم طعام غير شهي عمداً (كثير الملح مثلاً، أو ملون بلون أخضر)، ويُخضعون لعمليات إعدام مزيفة. كان 10٪ على الأقل من المتطوعين ينسحبون، مع علمهم بأنه مجرد تمرين. ويقول واغنر إن كثيرين من الذين قاموا بدور الضحية كانوا يرفضون المشاركة في الدورة التدريبية والقيام بتعذيب غيرهم من الضحايا. "كانوا يفقدون الرغبة في ذلك"، وفق ما قال واغنر.

بعد عدة أعوام من مشاركة واغنر في الدورة التدريبية، ألغتها الوكالة كلياً، على حد قوله. ففضائح عهد نيكسون وضعت وكالة الاستخبارات المركزية تحت رقابة لا سابق لها. وعلى امتداد العقود الثلاثة التالية تم بالتدريج تفكيك مدارس التجسس ومعظم شبكات الاستخبارات البشرية. فقد كانت الولايات المتحدة نفسها فقدت الرغبة في عملية جمع المعلومات مباشرة – ومعها التحقيق.

لم يعان أحد آثار هذا التحول بصورة درامية أكثر من كيث هول، الذي اكتسب لقب كابتن كرانتش قبل أن يفقد عمله كعميل لوكالة الاستخبارات المركزية. وهو يصف نفسه اليوم بأنه "صبي مثالي لملصقات الاستقامة السياسية." إنه رجل مشاكس، بات الآن وهو في الثانية والخمسين من عمره نسخة أكثف (ولا سيما عند الوسط) عما كان عليه الشاب الذي التحق بـ "المارينز" قبل ثلاثين عاماً. وبعد فصله من الخدمة حصل

على ماجستير في التاريخ والعلاقات الدولية، وانخرط في سلك الشرطة برتبة ضابط، لأنه كان يتشوق إلى نوع جسدي من الإثارة أكثر مما يقدمه السلك الأكاديمي؛ ويأتي لقبه من هذا التشوق.

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية استخدمت هول فَوْرَ تقدّمه بطلب العمل سنة 1979، بسبب خليطه النادر من المؤهلات المتصلة بالأكاديمية وبالعالم الواقعي. ثم وُجّه إلى مديرية التحقيق والتحليل، حيث أصبح واحداً من عملاء الوكالة السريين؛ وهم جماعة صغيرة نسبياً (نحو 48 رجلاً في جملتهم، بحسب ما قال هول) كانوا يُعرفون بلقب "ساحبي البراجم". وكان معظم عملاء الوكالة، ولا سيما في الثمانينات، مجرد موظفي مكاتب.

كان هول يفضل السفر، والتدريب، وتفجير الأشياء، مع أنه كان يشعر بأن الآخرين في الوكالة كانوا ينظرون من وراء أنوفهم نظرة متعالية إلى أشباهه من الرجال. لكن عندما فُجرت السفارة الأميركية في بيروت في 18 نيسان/أبريل 1983، كان ثمانية من الأميركيين الذين لقوا مصرعهم من موظفي الوكالة. كان من المتوقع القيام بكثير من التحريات الرسمية، لكن الوكالة أرادت واحداً منها. وقد تم اختيار هول للقيام بذلك.

"سفّروني جواً إلى لانغلي بطائرة من طائراتهم الخاصة"، وفق ما روى، "وأوصلوني إلى الطبقة السابعة، وقالوا لي ‹نريد أن تذهب إلى بيروت لتكشف لنا من فجّر السفارة وكيف تم ذلك. رئيس الولايات المتحدة نفسه سيقرأ برقياتك. وستكون عقوبات جراء ذلك›."

شعر هول بالتشريف والإثارة. كانت مهمة أحادية الغاية، رفيعة الأولوية، وكان يعرف أنهم كانوا يتوقعون منه أن يتوصل إلى نتائج. ولمّا كان ضابط شرطة ومقاتلاً في "المارينز"، فقد عرف أن التحريات الرسمية ملزمة بتكوين قضية يمكن أن تنظر فيها المحكمة. أمّا هو فلم يكن هدفه تكوين قضية، وإنما الكشف عمن قام بالعملية.

نام على سطوح الأبنية في بيروت، وكان يغير موضعه كل ليليتين. كان ذلك وقتاً خطراً على الأميركيين هناك، ولا سيما على عميل لوكالة الاستخبارات المركزية، فكان يتنقل باستمرار. عمل مع القوات الخاصة في الأمن العام اللبناني، وجهز كومبيوتراً في مبنى الشرطة.

يقول هول أنه شارك بلا تردد في عمليات التحقيق الوحشي التي قام بها المحققون اللبنانيون، والتي كان المشتبه فيهم يُضربون خلالها بالعصي أو بخراطيم الماء، أو يُربطون بمولدات كهربائية ويبلَّلون بالماء. وقد قادته تلك الأساليب إلى المشتبه في كونه "صرّاف الرواتب" في عملية تفجير السفارة، وهو رجل يدعى الياس نمر. "كان أكبر صيد لنا"، على حد قول هول – رجل له اتصالات بين أصحاب النفوذ.

"وعندما بلّغت وزير الدفاع اللبناني ذلك، رأيت الدم يختفي من وجهه."

كان الياس نمر شاباً بديناً، في الثامنة والعشرين من عمره، عليه مظهر الدلال واعتياد حياة الرفاه، شاباً معتاداً الثروة والرخاء والنفوذ. جاء إلى مبنى الشرطة مرتدياً سروالاً فضفاضاً، وقميصاً رياضياً لماعاً، وحذاء غوتشي. كان له شاربان صغيران مشذبان جيداً في وسط وجهه المستدير الناعم، وكان يلبس الذهب حول عنقه ومعصميه وأصابعه. وعندما اقتيد إلى المبنى حاول بعض الضباط "الاختفاء في الظل"، بحسب ما قال هول، خوفاً من عقوبة محتملة. كان الياس نمر يتكلف ابتسامة لامبالية خلال المقابلة الأولى، مقتنعاً بأنه حالما يصل الخبر إلى عائلته ومعارفه، فسيُفرج عنه سريعاً.

وعندما تمكن هول من التحدث إليه شرع في تبديد أوهام نمر. قال له: "أنا ضابط في الاستخبارات الأميركية. أظننت حقاً أنك ستفجر سفارتنا ونبقى نحن مكتوفي الأيدي؟ عليك أن تنظر في داخل نفسك وتقول لنفسك إن التكلم إليّ فكرة جيدة. أفضل طريقة لك هي أن تكون متمدناً... أعرف أنك تعتقد أنك ستخرج من هنا في غضون دقائق. هذا لن يحدث. أنت في قبضتي. وأنا الوحيد الذي سيقرر مصيرك. والأمر الوحيد الذي ينقذك هو التعاون." فابتسم الياس نمر في وجهه بازدراء.

في اللقاء الثاني بين الرجلين، لم تكن حال نمر على ذلك القدر من الجودة. فقد خذله معارفه في هذه القضية. لم يخاشنه أحد، لكنه أُجبر على الوقوف مدة يومين. أجلسه هول على كرسي معدني مستقيم الظهر، مع ضوء قوي ساخن ساطع في وجهه. جلس العميل وراء الضوء، بحيث لا يتمكن نمر من رؤيته. لم يعد نمر مزهواً بنفسه كما كان من قبل، لكنه كان لا يزال صامتاً.

ويقول هول أنه رفس نمر في جلسة التحقيق الثالثة وأوقعه من كرسيه. كانت هذه أول مرة يُقْدِم فيها شخص على إهانته، فبدا مصعوقاً، واكتفى بالتحديق في هول. لم يأكل منذ اعتقاله قبل أربعة أيام، إلاّ إنه ما زال يرفض الكلام.

"أعدته إلى زنزانته، وطلبت أن يُسكَب الماء عليه مرة بعد مرة، وأن يُجلَس تحت مروحة كبيرة، وأبقيته مبترداً نحو أربع وعشرين ساعة متواصلة. جاء بعد ذلك وكان في وسعك أن ترى تغير مزاجه. لم يخرج من السجن، وقد بدأ يلوح له أن أحداً لن يخرجه من هنا."

وعلى امتداد الأيام العشرة التالية أبقى هول الضغط متصاعداً. وخلال جلسات التحقيق عاد إلى رفس نمر عن كرسيه، وقام هو والنقيب اللبناني المولج بذلك بضربه بعصا خشبية على قصبتي ساقيه. أخيراً انهار نمر. وشرح لهم، استناداً إلى هول، دوره في عملية التفجير، وفي اغتيال الرئيس اللبناني. وقال إن عملاء الاستخبارات السورية كانوا وراء الخطة (ولا يوافق الجميع في وكالة الاستخبارات الأميركية على رواية

هول).

بُعَيدَ ذلك مات نمر في زنزانته. وكان هول عاد إلى واشنطن عندما سمع بالنبأ. وافترض أن نمر قُتل لمنعه من أن يدلي بشهادته ويسمي بقية الأشخاص المشتركين في المؤامرة. شعر هول، المسلح بأشرطة سجلت عليها اعترافات نمر، بأنه أنجز مهمته؛ لكن بعد عدة أشهر من إنهاء تقريره طُرد من الوكالة. وقد فهم من ذلك أن الأنباء تسربت عن جلسات تعذيب قام بها عميل للاستخبارات الأميركية، وهذا ما سبب إحراجاً للحكومة الأميركية.

لم يحاكم أي من الرجال المتهمين بالتفجير. ويعتقد هول أن الولايات المتحدة ربما دفعت ثمناً باهظاً لتراجعها عن تحرياته والتخلي عن الموضوع. من ذلك أن وليم بكلي، الذي كان رئيس فرع هول، خُطف لاحقاً، وعُذِّب، وقُتل. كان بين أربعة عشر مدنياً غربياً اختطفوا في بيروت سنة 1984. وفي تشرين الأول/أكتوبر من السنة السابقة، كان 241 جندياً أميركياً قد قتلوا في تفجير ثكناتهم في مطار بيروت. ويعتقد بعض المحللين أن هذه الفظائع كلها ارتكبتها المجموعة نفسها، أي تلك التي يعتقد هول أنه كشفها خلال تحرياته. ويقول هول، الذي ما زال يشعر بالمرارة بعد تسعة عشر عاماً: "لم يعاقَب أحد على ذلك سواي!"

ويعتبر هول أن فقدانه عمله إنما هو دليل درامي على أن وكالة الاستخبارات المركزية باعته لـ "محتضني الشجرة" منذ عقدين من الزمان، ويشير بازدراء إلى توجيه من الرئيس بيل كلينتون يمنع فعلياً عملاء الاستخبارات من التعامل مع الشخصيات البغيضة. الانسحاب الأميركي الواسع النطاق من الجانب الأبشع للجاسوسية موثق جيداً – غير أن مساره انعكس، يقيناً، في أعقاب حوادث 11 أيلول/سبتمبر.

"لقد صار الناس أكثر حذراً، وأكثر تمسكاً بالقوانين، وأكثر تعقلاً"، على حد قول مسؤول سابق رفيع المستوى في الاستخبارات. "لم نعد نُنزل ألماً شديداً، ولا نعمل شيئاً مؤذياً للحياة أو مهدداً لها. بل بتنا نسأل مرة أُخرى: 'كيف يمكنك أن تجعل الأشخاص ينهارون عبر سلسلة من الخطوات ذات تأثير؟' هذه هي اللعبة الوحيدة الآن في البلد."

على الرغم من الصرخة المدوية حيال سوء معاملة السجناء في غوانتانامو، فقد أخبرني رجلان باكستانيان كانا هناك، وهما شاه محمد وصاحبزاده عثمان علي، أنه فيما خلا شيء من المخاشنة التي عقبت القبض عليهما مباشرة، فإنهما لم يلقيا معاملة سيئة في كامب إكس – راي. فقد شعرا بالملل، والوحشة، والإحباط، والحنق، والعجز (إلى درجة جعلت شاه محمد يحاول الانتحار)، لكن أياً منهما لم يظن أنه سيتعرض للأذى على يد محتجزيه الأميركيين، وكلاهما اعتبر الاحتياطات المفرطة (القيود، والأغلال، والأغطية على الرأس) التي أثارت استنكار بقية العالم، أمراً مضحكاً. "ماذا كان الجنود الأميركيون يعتقدون أن في إمكاني أن أفعل لهم؟" – على حد قول

صاحبزاده، الذي لا يتعدى طوله 1.4 متر، ووزنه 68 كغ. والواقع أن انعدام الخوف في كامب إكس – راي صعَّب، ولا شك، عملية التمييز بين المقاتلين العاديين والإرهابيين الأصليين.

والنموذج الكامل لمركز التحقيق يجب أن يكون مكاناً يعيش فيه السجناء في خوف وقلق؛ مكاناً يمكن أن يعزلوا فيه أو يسمح لهم بالاختلاط بحرية على ما يراه السجّان، ويمكن فيه التنصت على أحاديث السجناء. هناك يمكن للمحققين أن يتحكموا في تجارب سجنائهم تحكماً تاماً، وذلك عن طريق قطع سبل الاتصال بالآخرين، أو حتى قطع الإحساسات والتجارب العادية عنهم، أو فتح سبل الاتصال تلك. يمكن جعل حياة السجناء مأساة من الارتباك وقلة الراحة، أو إعادتها إلى مستوى شبه سوي من الراحة والتفاعل الاجتماعي ضمن الحدود التي يتيحها السجن. يمكن أن يلوَّح بالأمل، أو أن يمحى. التعاون يكافأ، والعناد يعاقب. ويكون في حيازة المحققين ملفات متنامية عن سجنائهم، إذ يؤدي كل كشف جديد أو واقعة جديدة إلى مؤشرات جديدة ومعلومات جديدة – مستمدة من التحريات الميدانية (عملاء في العالم الواقعي يتحققون من المعلومات التي جمعت داخل السجن، ويستكشفونها)، ومن شهادات سجناء آخرين، ومتعاونين يتجسسون داخل السجن، وتسجيلات سرية. وينبغي للمحققين داخل هذا المركز أن يتمتعوا بخبرة واستبصار جيري جيورجيو أو ميخائيل كوبي.

التحقيقات الجادة تحصر بأخطر الرجال فحسب، كالشيخ محمد. فلِمَ إذاً لا تنزع ورقة التين عن استعمال الإكراه؟ لِمَ لا يوضع النفاق جانباً، ويعرف بوضوح ما المقصود بعبارة "شديد"، ويعدل الحظر المفروض على التعذيب بحيث يتاح للمحققين إكراه الإرهابيين المحتملين على البوح بالمعلومات؟

هذا هو صلب المسألة. قد يكون من الواضح أن الإكراه هو الخيار الصحيح أحياناً، لكن كيف يُسمح به ثم كيف يمكن التحكم فيه؟ فالسادية متأصلة في النفس البشرية. ولكل جيش من الجيوش حصته من الجنود الذين يستمتعون برفس الأسرى المقيدين وضربهم. والرجال المتمتعون بالسلطة يميلون إلى سوء استعمالها – لا كل الرجال، وإنما كثير منهم. ويجب الافتراض على وجه العموم أنهم يميلون إلى التعدي. فكيف يمكن لبلد من البلاد أن ينظم السلوك في أنحائه البعيدة المظلمة، وفي السجون، وفي ساحات القتال، وفي غرف التحقيق، ولا سيما عندما تكون قواته تعد بالملايين وتنتشر في أرجاء الأرض كافة؟ إذا ما رام المرء النظر في تغيير السياسة الوطنية فلا بد من أن يستبق العواقب العملية. إذا رفعنا الحظر رسمياً عن التعذيب، وإن جزئياً وفي حالات نادرة ومحددة فقط (لقد اقترح المدعي العام والمؤلف ألان درشويتز إصدار "رخص تعذيب") فإن السؤال سيكون: كيف يمكننا أن نضمن ألاّ يتحول التعذيب ممارسة

يومية – لا أداة لاستخراج المعلومات الحيوية التي تنقذ حياة الناس في حالات نادرة، وإنما أداة روتينية للظلم والقهر؟

وبالمناسبة، ثمة دراسة حالة ذات صلة بالموضوع. فإسرائيل لم تزل هدفاً للهجمات الإرهابية منذ عدة أعوام، وقد تصارعت علناً مع المآزق التي تطرحها هذه الهجمات بالنسبة إلى نظام ديمقراطي. ففي سنة 1987 أصدرت لجنة يرئسها قاضي المحكمة العليا موشيه لنداو سلسلة من التوصيات إلى ميخائيل كوبي وعملائه، سمحت لهم باستعمال "الضغط الجسدي المعتدل" و"الضغط النفسي غير العنيف" في التحقيق مع السجناء الذين يملكون معلومات من شأنها أن تحول دون هجمات إرهابية. وقد سعت اللجنة لعدم السماح بهذا النوع من الإكراه إلاّ في "حالات القنبلة الوشيكة الانفجار" – أي في حالات شبيهة باختطاف ياكوب فون متزلر، عندما يكون من شأن المعلومات التي يكتمها المشتبه فيه أن تنقذ حياة الناس.

بعد مرور اثني عشر عاماً أبطلت المحكمة العليا الإسرائيلية هذا الإذن، وحظرت اللجوء إلى التعذيب بمختلف أنواعه. ففي الأعوام التي أعقبت توصيات لجنة لنداو كان استخدام الأساليب الإكراهية قد غدا واسع الانتشار في الأراضي المحتلة. وذهب بعض التقديرات إلى أن أكثر من ثلثي الفلسطينيين الذين كانوا يعتقلون كانوا يخضعون لهذه الأساليب. يقول كوبي أنه لم يقدم، إلاّ في حالات نادرة، وبموافقة المحكمة، على صفع، أو قرص، أو هز سجين – لكن صودف أنه محقق بارع. فماذا عن مئات الرجال الذين كانوا يعملون معه؟ لم يكن في وسع كوبي أن يكون حاضراً في تلك التحقيقات كلها. لقد أخفقت كل محاولة لتنظيم الإكراه. ففي المطلق كان من السهل تصور وضع "القنبلة الوشيكة الانفجار"، والمشتبه فيه الذي يبرر بوضوح اللجوء إلى المعاملة الخشنة. لكن أين يمكن رسم الخط الفاصل في الحياة الواقعية؟ هل يجب أن تُستخدم وسائل الإكراه مع الشخص الذي يعرف شيئاً عن هجوم وشيك فقط؟ ما القول عن ذاك الذي ربما كان يعرف عن هجمات مخططة للتنفيذ بعد أشهر أو أعوام في المستقبل؟

"على افتراض أنك تحصل على معلومات مفيدة عن طريق التعذيب، فلِمَ لا تعذِّب دائماً؟" تسأل جسيكا مونتيل، المديرة التنفيذية لبتسيلم، مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة. "لِمَ التوقف أمام القنبلة التي زرعت والأشخاص الذين يعرفون أين توجد المتفجرات؟ لِمَ لا يعتقل الأشخاص الذين صنعوا المتفجرة، أو الأشخاص الذين يقدمون الأموال، أو يحولون الأموال لعمليات التفجير؟ لِمَ التوقف عند الضحية نفسها؟ لِمَ لا تُعذَّب عائلات الضحايا، وأقاربهم، وجيرانهم؟ لئن كانت الغاية تبرر الواسطة، إذاً أين نرسم الخط الفاصل؟"

ثم كيف يمكننا أن نعرف "الإكراه" من حيث هو يختلف عن "التعذيب"؟ إذا كان إكراه إنسان على الجلوس على كرسي صغير جداً يجبره على التدلي متألماً من يديه

المقيدتين عندما ينزلق إلى الأمام أمراً مقبولاً، فما القول عن ممارسة ضغط بسيط على أصل عنقه لزيادة الألم؟ أين ينتهي هزُّ السجين أو دفعه، وهو أمر يمكن أن يكون عنيفاً إلى حد يقتل السجين أو يصيبه بأذى كبير، وأين يتم تجاوز الخط الفاصل بين الإكراه والتعذيب؟

لقد تعمقت مونتيل في التفكير في هذه الأسئلة كثيراً. إنها امرأة نحيلة في الخامسة والثلاثين، ذات شعر بني قصير، تبدو في حركة دائمة، تدير بِتسيلم وترعى في بيتها طفلين توأمين وآخر في الرابعة من عمره. ولدت في كاليفورنيا، وهاجرت إلى إسرائيل بسبب مشاعر التضامن مع الدولة اليهودية من جهة، وبسبب عثورها على وظيفة تحبها في حقل حقوق الإنسان، من جهة أُخرى. ولمّا كانت تربّت على تصور مثالي لإسرائيل، فهي تبدو اليوم ملتزمة جعل إسرائيل ترتقي إلى مستوى مُثُلها. لكن هذه المثل واقعية. فمع أن مونتيل – ومركزها – صمدت في معارضة استعمال الإكراه (الذي تعتبره تعذيباً)، فهي تعترف بأن القضية الخلقية المطروحة غير سهلة.

وهي تعرف أن استعمال الإكراه في التحقيق لم يتوقف تماماً عندما حظرته المحكمة الإسرائيلية العليا سنة 1999. والفارق هو في أن المحققين عندما يستعملون "الوسائل العدوانية" اليوم، يعرفون أنهم يخرقون القانون ويمكن أن يعتبروا مسؤولين عن الإقدام على ذلك. ومن شأن هذا أن يعمل عمل الرادع، ويميل إلى الاقتصار في استخدام الإكراه على الحالات الأسهل تبريراً.

تقول: "إذا كنتُ بصفتي محققاً أشعر بأن لدى الشخص الماثل أمامي معلومات يمكن أن تحول دون وقوع كارثة، فإني أتصور أنني سأقوم بما يجب أن أقوم به كي أحول دون وقوعها. والدولة ملزمة، في هذه الحال، بأن تحيلني على المحاكمة لانتهاكي القانون. عندها سآتي وأقول: هذه هي الوقائع التي كانت في حيازتي. هذا ما كنت أعتقده حينها، وهذا ما ظننت أن لا بد من القيام به. أستطيع أن أشير إلى حال الدفاع المشروع عن النفس، ثم يصبح من واجب المحكمة أن تقرر هل كان انتهاكي للقانون، تفادياً لتلك الكارثة، مسوغاً في العقل. لكن يجب أن يوصف عملي بأنه انتهاك للقانون. لا يجوز أن يكون معي ترخيص مسبق لإساءة معاملة الناس."

بعبارة أُخرى: عندما يرفع الحظر لن يكون ثمة من رادع للمحققين الكسالى، غير الأكفياء، أو الساديين. ما دام التعذيب غير شرعي فإن على المحقق الذي يستعمل الإكراه أن يقبل المخاطرة. يجب أن يكون مستعداً للمثول أمام المحكمة، إذا اقتضى الأمر ذلك، كي يدافع عن أفعاله. وسيستمر المحققون في استخدام الإكراه لأنهم سيقدرون دائماً أنه يستحق ما يترتب عليه من عواقب في بعض الحالات. هذا لا يعني أنهم سيعاقبون. إن قرار الحكم في جريمة ما يبقى من صلاحية السلطة التنفيذية في أي بلد كان. وعلى المدعي العام، أو هيئة المحكمة، أو القاضي، أن يقرر متابعة البحث

في التهم، وعندها ستكون احتمالات تعرض المحقق في حال قنبلة وشيكة الانفجار للملاحقة القانونية، أو تعرضه، بدرجة أقل للحكم، ضئيلة جداً. وحتى كتابة هذا المقال لم يتعرض ولفغانغ داشنر، نائب رئيس شرطة فرانكفورت، للملاحقة بسبب تهديده بتعذيب خاطف ياكوب فون متزلر، وإن كان انتهك القانون انتهاكاً واضحاً.

[.....].■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar/mdf